نزار قباني

قاموس العاشقين

مكتبة زهران

١٥ شارع الشيخ محمد عبده خلف الجامع الأزهر
ت: ٢٥١٤٢٩٥٥

رقم الإيداع: ١٧٠٨٧ / ٢٠١١

مدخل

هذا هو الكتاب الثاني الذي أجرِّب فيه (الاختزال) في فنِّ الشعر.

تجربتي الأولى، بدأتُها في (كتاب الحبِّ) عام ١٩٧٠، حيث جرَّبتُ قصَّ الزوائد اللغوية في النص الشعري العربي، لاعتقادي أن النص الشعري العربي مُرهق، ومثقل بحمولات ينوء بها عموده الفقري.

أردت في السبعينيات أن أُنهي (الثرثرة الشعرية) في القصيدة العربية، وأرمي القماش الفائضَ على جسدها، وأكتب قصيدةً يكون الصوت فيها، معادلًا لحجم الانفعال.

وها أنذا، في الثمانينيات، أدخل المختبر مرةً ثانية، لأواصل العمل على تأسيس قصيدة عربية، يتجمَّع في نواتها كلُّ الشعر، كما تتجمَّع في الخلية كلُّ الحياة.

كنتُ أشعر أن القصيدة العربية، بحاجة إلى اتباع (ريجيم) لغويّ، يزيل عنها طبقات الدهن والشحم التي

تكدَّست على جسدها خلال عصور طويلة، ويعيد إليها ضُمور خصرها.. ورشاقة حركتها.. ويجعلها مشيقة القوام، دقيقة الساق، كالغزال الصحراوي، أو كراقصة الباليه..

ولماذا لا تكون القصيدة العربية غزالًا صحراويًّا؟ ومن عندنا تنطلق الغزلان.. ومن شعرنا اكتشف العالم كيف يتصالح الضوء والعتمة في (عُيون المها بين الرصافة والجسر).

لقد كنتُ، ولا أزال، مع الرشاقة ضدَّ الترهل..

ومع عارضات (إيف سان لوران) ضدَّ النساء الدائريَّات.

ومع أعواد الزنبق.. ضدَّ شجرة البلُّوط..

ومع العصفور.. ضدَّ البولدوزر..

ومع الفراشة.. ضدَّ محمد علي كلاي..

ومع موجز الأخبار.. ضدَّ النشرة التفصيلية.

ومع (ما قلَّ ودلَّ) ضدَّ (لزوميات ما لا يلزم).

الاختزال.. الاختزال..

هل هو مطلوب في الشعر أيضًا؟

بكل تأكيد..

فحياتنا العربية كلُّها بحاجة إلى اختزال..

عاداتنا الكلامية بحاجة إلى اختزال..

ثرثتنا الثقافية بحاجة إلى اختزال..

مكالماتنا الهاتفية بحاجة إلى اختزال..

سراويلنا الفولكلورية بحاجة إلى اختزال..

لغتنا السياسية، بطولاتنا الكاريكاتورية، بياناتنا الوزارية، مواقفنا الدونكشوتية، خطاباتنا المطاطية، أشرطتنا الإيديولوجية، قصائدنا الممتدة كخطوط السكة الحديدية..

كلها بحاجة إلى قَصْقَصة..

وتضبيط.. وعملية تجميل.. ابتداء من أنوفنا الطويلة.. حتى بناياتنا الشعرية ذات المائة وخمسين طابقًا..

وكما أن السُّكنى في (إمباير ستيت) في نيويورك متعبة.. فإن مُعلقة عمرو بن كلثوم.. متعبة أيضًا..

وإذا كان الصعود إلى (إمباير ستيت) يفرض عليك أن تستعمل عشرين مصعدًا.. وتقابل خمسين بوَّابًا.. فإن الصعود إلى المعلَّقات العَشْر.. يفرض عليك أن تتسلق الدرج الحجري، درجة.. درجة.. حتى تصل، بعد عمر طويل، إلى (روف) القصيدة..

هذا إذا وصلت.. أنا شخصيًّا لم أتحمَّس لناطحات السحاب النيويوركية.

ولم أتحمَّس لطائرة الكونكورد التي تثقب جدار الصوت، وتثقب القلب معه..

ولم أتحمَّس لأهرامات الجيزة، عندما رأيتُها للمرة الأولى.

قد تكون هذه الأشياء جميلة بمقاييس التكنولوجيا.. أو بمقاييس الفنّ المعماري.. أو بمقاييس الرقيّ والتطور..

ولكنني، بطبيعتي، ضدَّ كلِّ جمالٍ يصيبني بالذعر.. أو بالدُّوار..

وموقفي من اللغة، ومن بُنية القصيدة العربية، ومن الكتابة بشكل عام.. هو موقف مشابه.

فمتانة الديباجة، والفصاحة، والجزالة، وقوة البيان، والقوافي الهادرة كالمسدس السريع الطلقات، والأبيات المرصوصة كحجارة قلعةٍ رومانية قديمة.. هي الأخرى بنايات هائلة من الكونكريت اللغوي، تصيبني بذات الدوخة التي أشعر بها في كادرائيات روما والبندقية.

ومرة أخرى أقول: إن القصيدة العربية التقليدية فيها شيء من جمالية الذعر؛ لأن الأشياء الضخمة مصنوعة أساسًا لتترك لدى رائيها شعورًا بالرهبة.. أو بالخوف.. أو بالإذلال.

لذلك فأنا أُفَضِّل القصيدة – الشاليه التي أفتح بابها وأدخل على القصيدة –، القلعة التي لا تفتح بواباتها بعد غروب الشمس؛ إلا لمن يعرفون كلمة السر..



إن عالم اليوم. بسبب تزايد السكان، وتناقص المواد الأولية، والأغذية الأرضية يتجه نحو التقشف والاقتصاد في كل شيء..

فالرغيف أصبح أصغر..

والسيارات أصبحت أصغر..

وثياب النساء أصبحت أضيق..

والعواطف أصبحت أضيق..

ومنزل الأسرة الكبير.. تحول إلى استوديو..

والوجبات الدسمة.. تحولت إلى ساندويتشات..

والكتب الكلاسيكية المجلدة تجليدًا فاخرًا.. أصبحت كتب جيب..والحب نفسه ترك شرفته القمرية.. ونزل من سمائه السابعة؛ ليركب دراجة فسبا..

هذه النزعة الاقتصادية لاستعمال الأشياء.. لا بد أن تنتقل بصورة حتمية إلى أدوات التعبير من شعرٍ، وغناء، وتأليف موسيقى..

فالطرب الطولاني.. والقصائد الطولانية.. والملاحم، والمواويل، والتقاسيم لم يعد لها مكان في هذا العصر العصبي اللاهث..

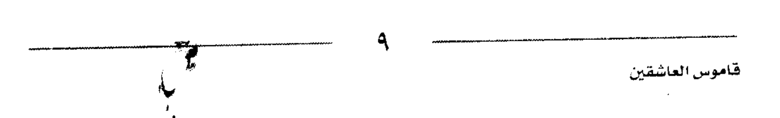
وشعرنا العربي بحاجة ماسية إلى شد الحزام على أوتاره الصوتية.. والاقتصاد في استعمال فمه وشفتيه..

إن شهية اللغة عند العربي؛ كشهية الجنس.. لا بد من اعتقالها.. ووضعها تحت الرقابة؛ وإلا افترست في طريقها الأخضر واليابس...

❊ ❊ ❊

ولكن هل يقبل الجمهور العربي الذي تعود على (المازات).. والصحون الفاتحة للشهية.. وقرقشة الفستق المملح، أن يتخلى عن أمجاد الطعام.. وأمجاد الكلام.. ويخضع (لريجيم شعري) لا يحوي سوى العناصر الضرورية لبقائه على قيد الحياة.

إن تجربتي الأولى في كتاب (الحب) أثبت لي أن



- للجمهور العربي قدرة خارقة على طرح عاداته القديمة، وتشكيل عادات جديدة.

طبعًا.. هذه الانعطافة في الذائقة العربية لن تحدث بين يوم وليلة؛ فغريزة الاستماع بحاجة إلى تدريب طويل ككل الغرائز.

* * *

إن أجمل تحية تلقيتها على أثر صدور كتاب (الحب ١٩٧٠) كانت من طالب اتصل بي هاتفيًّا، وقال لي:

« شكرًا لك يا سيدي.. باسمي وباسم من أحب؛ لأنك وفَّرت عليَّ الوقت، فما كنت أقوله لحبيبتي في ثلاث ساعات صرت أقوله بعد صدور (كتاب الحب) في ثلاث دقائق..»

هذا الكلام البسيط.. والطفولي، والخارج من القلب..
لا يزال مسافرًا كالوردة في دورتي الدموية..
وهو الذي شجَّعني على إعادة التجربة..

بيروت ١/ ٧/ ١٩٨١
نزار قباني

قاموس العاشقين

طالما فكرتُ أن أكتبَ قاموسًا لأجل العاشقين

أصدقائي العاشقين

طالما فكرتُ أن أسعدَهم

هؤلاءِ المدهشين.. الطيبين.. الرائعين

طالما فكرتُ أن أشعلَ قنديلا صغيرا

لألوفِ الضائعين..

طالما فكرتُ أن أجعلَ قلبي

حقلَ قمحٍ.. لجميعِ العاشقين

طالما فكرتُ أن أجعلَ من أهداب عيني..

شرشفًا.. ألقيه فوق المتعبين..

طالما فكرت أن أعرفَ..

من أين طيور الحزن تأتي..

ومتى تزهر أشجارُ الحنين..

طالما فكرت أن اكتشفَ النارَ التي تحرقنا

من ملايين..

ملايين السنين..

❊ ❊ ❊

إنني لا شك مجنونٌ كبيرٌ..

عندما سميتُ نفسي:

(الناطق الرسمي باسم العاشقينْ)

هل من الممكن أن يحدثَ هذا؟!

هل من الممكن حبسُ البحرِ في قارورةٍ؟!

واعتقالُ الياسمينْ؟

في كتابٍ واحدٍ؟

إنني أستغفرُ الرحمنَ ربَّ العالمين..

سأحاول

يا التي أهديتُها..

عشرين ديوانًا من الشعرِ..

وهرَّبتُ لعينيها ملايينَ الرسائل

يا التي من أجلِها أعلنتُ ثوراتي..

وقاتلت شعوبًا.. وقبائلْ

يا التي من صوتِها.. تسقطُ أقمارُ الذهبْ

يا التي من وجهِها.. يبدأ تاريخُ الأدبْ

يا التي تمشي..

ويمشي خلفَها.. حقلُ سنابلْ

صدقيني.. إنني لستُ أجاملْ

أنتِ تحتاجين.. مولاتي.. لخمسين لغة..

ولآلافِ العصافير..

وآلافِ البلابل..

فلماذا يا تُرى أرهقُ نفسي؟

إن كلَّ الشعرِ في العالم.. لا يكفيكِ..
لكن سأحاولْ...

إيضاح صغير

ليس حبي لكِ.. يا سيدتي
زينةً.. أو ترفًا..
أو ورقًا ألعبُه عندَ الضجْرِ
ليس حبي لكِ.. يا سيدتي
معطفًا ألبسُه في محطاتِ السفْرِ
أنا مضطرٌّ إلى حبِّكِ حتى..
أعرفُ الفارقَ ما بيني.. وما بين الحجرْ

أول أنثى.. أول رجل

أتصور أنكِ أولُ أنثى..
ظَهرَت منذ ملايين الأعوامْ
وبأني أولُ رجلٍ عشق امرأةً..
منذ ملايين الأعوامْ
أتصور أني أعرفُ هذا الوجهَ، وأعرف هاتين الشفتين
فخلالَ العطلةِ.. كنت أَلُمُّ القطنَ الأبيضَ..
عن شجرِ النهديْن..
أتصور إني قد شاهدتك ذاتَ صباح،
حافيةَ القدمينْ..
خارجةً من أعماقِ البحر..
كغابةِ موسيقى ورخامْ..
أتصور إني كنت أحبُّك.. قبلَ وجودِ الحبِّ،
وأكتب شعرًا.. قبلَ وجودِ الشِّعر،
وقبلَ فتوحِ الشامْ..

وعقدتُ عليكِ.. وأنجبنا..
أولادًا.. في لونِ الأحلامْ
وقصائدَ شعرٍ.. ونجومًا..
وقبيلةَ غزلان.. وحَمامْ..

* * *

يتهيأ لي أني قابلتكِ..
قبلَ العصرِ الكنعاني..
وقبلَ العصرِ الكلداني..
وقبلَ العصرِ اليوناني..
وقبل العصرِ الفينيقي..
وقبلَ حدودِ الوقتِ.. وتسميةِ الأيامْ
أصور أنكِ كنتِ امرأتي..
قبلَ ملايين الأعوامْ...

كي أتحضَّر

أنا لا أطمحُ أن أصبحَ قيصرْ..
لا ولا أطمحُ أن أستلمَ العرشَ..
فعرش الشِّعر أكبرْ..
لا ولا أطمح أن يمشي أمامي صفٌّ عسكرْ..
وورائي.. صفٌّ عسكرْ..
كلُّ ما أرجوه يا سيدتي..
أن تحبيني قليلاً..
لا لشيءَ.. إنما كي أتحضَّرْ..

لماذا

كلُّ أهلِ العشق، كانوا..
من تلاميذي، وإن لم يعرفوني
فأنا علمتُهم أبجدياتِ الحنينِ
وأنا علمتُهم أن يكتبوا
للحبيباتِ.. بماءِ الياسمينِ
فلماذا.. حين سلمْتُ على أهل الهوى
لم يشكروني؟؟!

أرجو أن تحبيه

في عيد ميلادِك العشرين.. يا قمري
فكرتُ.. فكرتُ.. فيما سوفَ أهدْيه
كلُّ الخياراتِ، تبدو لي محدَّدةً
يا من لعينيْك، كلُّ العمر أعطيه
فكيف يُفرِحُ إنسانٌ حبيبتَه؟
ويكشفُ القلبُ عن أحلى أمانيهِ
الوردُ؟.. أصبح تقليدًا أضيقُ به
والعطرُ؟.. لا امرأة إلا وتَقْنيه
لذا.. سأرسلُ يومَ العيدِ.. سيدتي
كتابَ شِعرٍ.. فأرجو أن تحبيه..

لو نحن استقلنا..

أنا لا يشغل بالي، ما يقولُ الناسُ عنَّا..
إننا كنا عشيقَيْن كبيريْن.. وإنَّا..
من نجومِ الصيفِ.. أو من زَبَدِ الماء.. وُلِدْنا
وعلى ريشِ العصافيرِ..
رسمنا.. وكتبنا..
ومع الأزهارِ، والأمواجِ، والغيمِ..
ركضنا.. ولعبنا..
إن ما يشغلُ بالي..
ما الذي يبقى من العالمِ..
لو نحن استقلْنا..

الطوفان

لم أُخططْ.. قبلَ أن أهواكَ، يا سيدتي
بل رأيتُ الماءَ يجتاح ثيابي..
أنتِ، يا سيدتي، رائعةٌ
وأنا شخصٌ ضعيفٌ في الحسابِ..

تفوق

إنني أهواكِ.. يا حبيبتي
ولهذا.. فأنا أشعرُ أنِّي
رجلٌ فوقَ البشرْ..

بداية التاريخ

لست أُخفي سِرًّا.. فقلبي كتابٌ
ليس صعبًا عليك، أن تقرأيهِ..
إنني دائمًا أؤرخُ عُمري
بالنهارِ الذي عشقتُك فيه..

من لا يحبكِ.. يبقى دونما وطن

إني أحبُّكِ كي أبقى على صلةٍ
بالله، بالأرضِ، بالتاريخِ، بالزمنِ
بالماءِ، بالزرعِ، بالأطفالِ إن ضحكوا
بالخبزِ، بالبحرِ، بالأصدافِ، بالسفنِ
بنجمةِ الليلِ، تهديني أساورها
بالشعرِ أسكنُه، والجُرحِ يسكنني
أنتِ البلادُ التي تعطي هويتَها
من لا يحبُّكِ.. يبقى دونما وطنِ

أستاذتي في الشعر

الحضاراتُ، والثقافةُ، والبحرُ
جميعًا.. تجئُ من عينيْكِ
الكلامُ الجميلُ منكِ.. وَعْدلٌ
أن أرُدَّ القولَ الجميلَ إليكِ
ليس عندي قصيدةٌ ذاتَ شأنٍ
لم تضعْ رأسَها على ركبتيكِ
أنتِ أصلُ الأشياءِ.. هل ثَمَّ شِعرٌ
جَيِّدٌ.. لم يمرَّ بينَ يديكِ؟..

عاطل عن العمل

لو لم أصادفْ وجهَكِ الرائعَ..
ما كنت أميرًا للغزلْ
لو لم أُقَبِّلكِ من الرأسِ إلى الأقدامِ.. يا حبيبتي
لم يعرف العالم تاريخ القُبَلْ
لو لم أُصَوِّرْ جسمَكِ الجميلَ في قصائدي..
لم يعرف الأطفالُ ما شكلُ العسلْ
لو أنني لم أشتغلْ مزارعًا
في حقلِ عينيْكِ..
لكنتُ عاطلاً عن العملْ..

لم تعد تقبلني بيروت وحدي

لم تعدْ تقبلني بيروتُ وحدي
بعد أن شاهدَك الناسُ كعصفورٍ جميل
فوقَ رأسي.. سَنَتَيْن
لن تعدْ تقبلني بيروتُ وحدي
بعدما كان يرانا البحر – يا سدتي – ملتصِقَيْن
لم يعدْ يقبلني الشارُع وحدي
بعدما كنَّا معًا نجتازُه في الليلْ
مثلَ النجمتينْ..
من هنا..
تبدأُ يا سيدتي، مشكلتي
كلما أطلبُ في المقهى نبيذًا..
يحملُ النادلُ – من غيرِ انتباه – قدحَيْنْ
كلما أجلسُ في سيارتي..
تفتحين الباب في صمت..

وتندسين بينَ المقعديْن

* * *

كلما أهبطُ في أيِّ مطارٍ..
تحملين الحبَّ.. والأزهار لي
وتمدين على البعدِ اليديْن
لستُ أدري..
هل أحبُّ امرأةً واحدةً
أم أحبُّ امرأةً في امرأتينْ؟؟

كيف ستبدأ السنة الجديدة؟

لا يبدأ التاريخُ إلا منك.. أيتها البعيده
ما دمت غائبةً..
فكيف ستبدأ السنةُ الجديده؟
ما دمت لستِ معي..
فكيف ستُثْلَجُ الدنيا..
وتمتلئُ بالهدايا واللُّعبْ؟
ما دمتِ لست معي.. فكيف يُعَيِّدُ الأطفالُ؟
كيف ستلبس الأشجارُ معطفَها المرصَّعَ بالذهبْ؟
ما دمتِ سيدتي على سفرٍ
فتاريخي على سفرْ..
وأيامي على سفرْ..
وأوراقي وأقلامي على سفرْ..
وأشعاري مؤجلة الحضورْ
ما دمت لست معي
فكيف الأرضُ يمكنُ أن تدورْ؟؟

أصل الكتابة

اطردي عنكِ الكآبه
وامنحيني يدَك اليمنى قليلا..
فأنا لم أحترفْ صيدَ العصافيرِ..
ولا كنت يومًا ثعلبًا يسكنُ غابه
إننى حين أحبُّ امرأةً..
إنما أبحثُ عن أصلي..
وعن أصلِ الكتابهْ

المكتوب

كلما أرسلتِ لي مكتوبَ حبٍّ
زارني النور.. وما أحلى الزياره

* * *

صوت

كلما غردتِ في الهاتفِ.. يا قُمْرِيَّتي
هَرْهَرَتْ.. فوق سريري ياسمينهْ..

وقبلكِ كل النساء افتراضٌ

وقبلَكِ..
ما كانَ للبحرِ اسمٌ..
ولا كانَ للوردِ اسمٌ..
ولا كانَ للشمسِ اسمٌ..
ولا كان مرعًى، ولا كان عُشْبُ
وقبلَكِ كلُّ النساءِ افتراضٌ
وكلُّ القصائد كذبٌ..
لو أني لست أحبُّك أنت..
فماذا أحبُّ؟!.

الفاكهة

إذا تلاقتْ غَيْمَةٌ.. ونسمةٌ
تسقطُ حباتُ المطرْ
ولو تلاقى رجلٌ وامرأةٌ
يسقطُ من حَوْضَيْهِمَا
أشهى الثمرْ..

نزار قباني. ملكا

أنا لا أطلبُ عرشًا أو إمارهْ

طالما أنتِ معي..

وجْهُكِ العرش.. وعيناكِ الإمارهْ

* * *

أجمل ما فينا

... وأجمل ما فيكِ.. أنَّكِ من قارئاتي

وأجملُ ما فيَّ أني أحبُّك حبًّا..

يفجرُ كلَّ ثواني حياتي!!.

الموجز في تاريخ الحضارة

ما الذي يحدثُ يا سيدتي؟
كلما أهواك، تزدادين حسنًا ونضارهْ
كلما لامستُ نهديْكِ..
يزيدان شموخًا.. واستدارهْ
كلما طارحتكِ الحبَّ..
تعودين إلى عهدِ البكارهْ
كلما أهواكِ.. يا سيدتي
فأنا أوجزَ تاريخَ الحضارهْ

تحولات القهوة

كنا بالأمسِ، إذا نتحدثُ في المقهى
تهتزُّ القهوة في يدِنا..
وتصفقُ من فرحٍ أكوابُ الماءْ
من بعدِ غروبِ علاقتنا
صرنا لو نجلسُ في ذاتِ المقهى
تأتينا القهوةُ باردةً
وعلى فستانكِ.. وثيابي
يندلقُ الماءْ..

برقية

حينَ أحبُّ امرأةً..
يبعثُ لي برقيةً جميلةً
يشكرني فيها على مواهبي
ضوءُ القمرْ..

عندما تركض الأشجار

حين أُحبُّ امرأةً..
يركضُ نحوي حافيًا..
كلُّ الشجرْ

لحناني لكِ صوت

لحناني لكِ صوتٌ..
ربما لا تسمعينَهْ
وبأهدابي كلامٌ أخضرٌ
طالما تبلُغي العشرين، يا زنبقتي
لا تفهمينَهْ..

يكفي لتنوير مدينة..

كيفَ تبقين حزينه؟

كيف تبقين حزينه؟

ربما أحببتُكِ الحب الذي ما كنتِ، يا سيدتي، تنتظرينه

ربما كان عناقي فوقَ ما تحتملينه

ولهذا أطلبُ الغفرانَ، يا سيدتي

فلقد أعطيتُك العشقَ الذي..

يكفي لتنويرِ مدينهْ..

لو ظل عقلي صغيراً

قبل عشرين، أو ثلاثين عامًا
كان عقلي في الحبِّ عقلا صغيرًا
لم أكن جيدًا بكلِّ دروسي
غير أني في العشق، كنتُ الأميرا
كنت في ذلك الزمانِ جريئًا
أحملُ الشمسَ في يدَّي.. عصفورًا
ونجومُ السماء كنت أراها
شجرًا.. منه أقطفُ الزعرورا
وأنادي الأشجارَ كي تكتبَ الشِّعرَ..
وأدعو الأسماكَ.. حتى تطيرا..
قبل عشرين، أو ثلاثين عامًا
كنت طفلاً يحبُّ من غيرِ عقلٍ
ويحبُّ التغييرَ.. والتكسيرا..
كان نهداكِ يمطرانِ نجومًا

ويرشان حوليَ الكَشميرا..

* * *

بعدَ عشرين أو ثلاثين عامًا
أتمنَّى.. لو ظلَّ عقلي صغيرَا..

ما هو الحب

(١)

ما هو الحبُّ؟
قرأنا عنه آلافَ الملفَّاتِ..
ولا نعرفُ ما نحنُ قرأنا..
وقرأنا كتبَ التفسير، والتنجيمِ، والطبِّ..
ولا نعرفُ مِن أين بدأنا..
وحفظنا كلَّ ما في الأدبِ الشعبي..
من شعرٍ.. وأزجالٍ..
ولا نذكرُ سطرًا واحدًا مما حفظْنا..
وسألنا فقهاءَ الحبِّ عن أحوالهم
فعرفنا أنهم لم يعرفوا أكثرَ منا..

(٢)

ما هو الحبُّ؟
سألنا عنه في مخبئهِ السريِّ.. لكن..
كلما جئنا لكي نمسكَه، أفلتَ منا
وتعقبناه في الغاباتِ أعوامًا.. وأعوامًا.. فضعنا
وتبعناه إلى إفريقيا السوداء.. والبنغالِ..
والنيبال، والبحرِ الكاريبي، ومايوركا،
وأدغالِ البرازيل..
ولكنْ ما وصلنا..
وسألنا حكماءَ العشقِ، عن أخبارِهم
فعرفنا أنهم لم يعرفوا أكثر مِنَّا..

•

(٣)

ما هو الحبُّ؟

سألنا عنه أصحاب الكراماتِ،
وأبطالِ الرواياتِ،
فقالوا أجملَ القولِ، ولكن ما اقتنعنا..
وسألنا مرةً عنه رفاقَ المدرسهْ
فأجابوا: كان طفلاً حالمًا..
يكتبُ الأشعارَ فوقَ النرجسه
ويلمُّ النملَ، والجيزان، والزعرورَ، في مريولِه
ويداري القططَ المضطهدَهْ
وسألنا خبراءَ العشقِ، عن خبرتِهم
فعرفنا أنهم لم يعرفوا أكثرَ منا..

(٤)

ما هو الحبُّ؟
سألنا عنه أهلَ البرِّ والتقوى.. ولكن دون جدوى
وسألنا عنه أهلَ الرأي والفتوَى.. ولكن دونَ جدوى

• وسألنا عنه أهلَ الكأسِ والنجْوَى.. ولكن دونَ جدوى
وسألنا أهلَه عنه، فقالوا:
ترك البيتَ صغيرًا..
وعلى راحتِه يحملُ عصفورًا وغُصنَا
وسألنا، كلَّ مَن عاصَره، عن سِنِّه
فأجابوا ساخرينْ:
ومتى كان الهوى يعرفُ سِنَّا؟!

(٥)

ما هو الحبُّ؟
سمعنا أنه أمرٌ إلهيٌّ..
فأمَنَّا بما نحنُ سَمعنا..
وسمعنا أنه نَجْمٌ سماويٌّ
ففتحنا الشبابيكَ له كلَّ مساءٍ.. وانتظرنا
وسمعنا أنه برقٌ.. إذا نحن لمسناه، صُعِقنا

وسمعنا أنه سيف رهيف
لو سحبناه من الغُمد.. ذُبِحْنَا..
وسألنا سفراءَ الحبِّ عن أسفارِهم
فعرفنا أنهم لم يعرفوا أكثر منا..

(٦)

ما هو الحبُّ؟
رأينا وجهَه في زهرةِ الأوركيد.. لكنْ ما فهمنا..
وسمعنا صوتَه في صيحةِ البلبلِ.. لكن ما فهمنا..
ولمحناه على سنبلةِ القمحِ، وفي إيماءةِ الغزلانِ،
في ألوانِ نيسانِ،
وفي أعمال (شوبان)
ولكن ما انتبهنا
وسألنا أنبياءَ العشِق، عن أسرارِهم
فعرفنا أنهم لم يعرفوا أكثرَ منا..

(٧)

ولجأنا لملوكِ الحبِّ في تاريخنا
فاستشرنا مرةً مجنونَ ليلى..
واستخرنا مرةً مجنون لبنى..
واكتشفْنا..
أن مَن كنا نسميهم ملوكًا
لم يكونوا أبدًا في عشقِهم أسعدَ منَّا...

قالب الحلوى

لو أتاني منها خطابٌ صغيرٌ
تأخذ الشمسُ شكلَ قالبِ حَلْوَى
وقميصُ السماءِ يغدو حريرَا
لو أتاني منها خطابٌ صغيرٌ..
كنتُ ألغي من الخريطةِ عصرًا
ثم أبني بلحظتَيْنِ.. عصورَا..

آخر ديوان شعر

بعينيكِ يشتعلُ القمحُ والماءُ
تمطرَ كلُّ الغيومِ البعيدهْ
وتأتي العصافيرُ من جهةِ البحرِ،
تحمل آخرَ ديوانِ شعرٍ..
وتعرفُ خمس لغاتٍ جديده..

أنا لا أشبه عُشَّاقَكِ.. يا سيدتي
فإذا أهداك غيري غَيْمةً..
أنا أهديكِ المطرْ
وإذا أهداكِ قنديلاً.. فإني..
سوف أهديك القمرْ
وإذا أهداك غصنًا..
فسأهديك الشجرْ
وإذا أهداك غيري مركبًا..
فسأهديكِ السَّفَرْ..

إمبريالية

قُولي لشَعْرِكِ.. أن ينالَ إجازةً..

شهرًا.. فشَعرُكِ أصبحَ استعمارًا..

ما زال كالمجنونِ.. يركضُ حافيًا

خلفي.. ويرقصُ يمنةً ويسارًا

أرخى ستائرَه عليَّ.. فلم أعُدْ..

أدري.. إذا كان النهارُ نهارًا..

متوحشٌ.. متسلطٌ.. مستأثِرٌ..

في حكمِه، لا يقبلُ الأعذارًا

هذا هو القمعُ الجميلُ.. رفضتُه..

ولعنتهُ.. وقبلتهُ مختارًا..

❊ ❊ ❊

قولي لشعركِ أن يلملمَ نفسَه

لأرى النجومَ.. وأسمعَ الأخبارًا

المسؤولية

(١)

مسؤولةٌ عيناكِ.. يا حبيبتي
عن كلِّ ما يسقطُ في العالمِ من أمطارْ
وكلِّ ما ينبتَ في الغاباتِ من أشجارْ
مسؤولةٌ عيناك عن كتابةِ الشِّعرِ
وعن تشكُّلِ اللؤلؤِ والمحارْ
عن ازدهارِ الحبِّ، والجنسِ،
وعن تكاثرِ الأطفالِ والأزهارْ
وعن خروجِ الليلِ من عباءةِ النهارْ..

(٢)

مسؤولةٌ عيناك عن مصيرِ هذا الكونْ
عن سفرِ الضَّوْءِ.. وعن تحولاتِ اللونْ..

عن حالةِ الطقسِ..
وعن كثافةِ الزرقةِ في البحارْ..
مسؤولةٌ عيناك يا حبيبتي..
على كلِّ ما تلبسه الحقولُ من نوَّار
وكلِّ ما يشبُّ في الغاباتِ من حرائقِ..
وكلِّ ما يفيضُ في البلادِ من أنهارْ..

(٣)

مسؤولةٌ عيناك.. يا حبيبتي..
عن هذه الدنيا من الشرقِ إلى الغربِ..
إلى الشمالِ والجنوبْ..
مسؤولةٌ عن هجرةِ الأسماكِ، عن تحركِ الأفلاكِ..
عن تسلقِ النباتاتِ، عن تواصلِ الحياةِ..
عن تنفسِ الأحلامِ في الغروبْ
مسؤولةٌ عن حَبلِ الدوالي..

وعن زفافِ دودةِ الحريرْ..
مسؤولة عن كلِّ ما يرفُّ أو يضيءُ..
أو يحطُّ.. أو يطيرْ..
مسؤولة عيناك.. يا أميرتي..
عن دورة الأرضِ..
وعن مستقبلِ الشعوبْ..

مليون قمر

أنتِ لستِ امرأةً عاديةً
إنكِ الدهشةُ.. والتخمينُ..
والآتي الذي لا يُنْتَظَرْ..
كيف في لحظةِ كشفٍ وتجلي..
تُخرجين الماءَ من قلِب الحجْر؟
كيف في لمسةِ هُدْبٍ..
تجعلين القمَر الواحدَ مليون قَمَرْ؟

ما فوق اللغة

ليس حبي لكِ.. تشبيهًا جميلاً..
واستعارهْ..
إنه أكبُر من صوتي..
ومن إيقاعِ أحلامي..
ومن حجم العبارهْ..

الاحتفال

(١)

إليكِ أقدمُ شُكري
فقد كان حبُّك أحلى محطاتِ عمري
وكان انقلابًا على كلِّ شيءٍ..
وكان خروجًا على كلِّ شيءٍ..
وكان خيولاً..
وكان طبولاً..
وكان احتفالاً كبيرًا..
يُقام بساحاتِ صدْري..

(٢)

إليكِ أقدمُ أجملَ أزهارِ شكري
فقد كان حبُّك فتحًا عظيما

ووحيًا كريمًا..
أضاء طريقي، وهذَّب نفسي..
وحرَّر فكري
وكان التماعةَ نجمٍ
وكان إشارَة يُمنٍ
وكانت بشارةَ خيرٍ..

(٣)

إليك أقدمَ أعمقَ آياتِ شكري
فقد كان حبُّك من غيرِ رَيْبٍ
أهمَّ مفاتيحِ شعري
وحادثةً ليس تجري..
بأيِّ زمانٍ.. وأيِّ مكانٍ..
وفي أيِّ عَصْرِ..

(٤)

إليكِ أقدمُ..
ماذا أقدمُ؟
ما عُدْتُ أدري..

افتراض

لو فرضْنا..

أنني – لا سمحَ اللهُ ولا قَدَّرَ –

لم أعرفْك يومًا..

لو فرضْنا..

كانت الدنيا كلامًا فارغًا من أي مَعْنَى..

لو دخلتْ في دمنا امرأة

لو دخلتْ في دَمنَّا امرأةٌ
بيضاءُ كانت.. أم سوداءْ
تتلخبطُ خارطةُ الأشياءْ

حالة طوارئ

شَعْرُ محبوبتي يقول كلامًا..
وعلى رُكبتي يحيكُ الحريرا..
شعرُ محبوبتي طويلٌ.. ولكنْ..
إن تعدَّى حدودَه ذاتَ يومٍ..
صار شعرًا مغامرًا.. وخطيرًا

الثأثأة

حُبِّكِ.. يا سيدتي.. تجاوزَ المعقولْ..
تجاوز الإشارةَ الحمراءَ..
والأعرافَ.. والأصولْ..
تجاوز النموذجَ الشائعَ..
والزمانَ.. والمكانَ.. والفصولْ..
فلتغفري ثأثأتي..
لأنني نسيتُ كلَّ ما أردتُ أن أقولْ..

بيت الحمائم

بميدانِ عينيْكِ..
تبني الحمائمَ بيتًا..
وتدخلُ – دونَ انتظار – علينا القصيدهْ

تعريف جديد للوطن

كلما غنيتُ باسمِ امرأةٍ
أسقطوا قوميتي عني.. وقالوا:
«كيف لا تكتبُ شِعرًا للوطنْ؟»
آه.. لو يدركُ من يقرؤني
أن ما أكتبُه في الحبِّ..
مكتوبٌ لتحريرِ الوطنْ..

الثقافة المعاصرة

(١)

ثقِّفيني..
ثقفيني..
فأنا من قبل أن أقرأَ في وجهِكِ..
لم أقرأْ كتابا..
وأنا من قبل أن أكتشفَ الحنطَة في جسمِك..
كانت هذه الدنيا خَرَابًا..
علميني اللغةَ الأنثى.. فإني..
رغم ما أحفظُ من أشعارِ أهلِ العشقِ..
لا أحفظُ شيئا..
رغم أني قد طلبتُ العلمَ في الصينِ..
ولكنَّ نساءَ الصين..
قد قدمَن لي شايا

وما علمنَني في الحب شيئا..

ثقفيني..

ثقفيني..

فشهاداتي التي حَصَّلْتُها

ودراساتي التي أَعْدَدْتُها

كلها كانتْ سرابًا..

(٢)

درسيني مثلَ تلميذٍ صغيرٍ

كيف من نهدين.. يا سيدتي.. أصنع جملة

كيف من ثغريْن.. يا سيدتي.. أكتبُ قُبْلة

ارسمي لي فوقَ هذى الورقهْ

كيف خصرُ امرأةٍ يصبح نخلهْ

كيف شعرُ امرأةٍ يصبح سقفا ومظلَّهْ

ومواويلَ..

وصيفًا..و(عَتَابا)..

(٣)

ابدأي من أولِ السطرِ معي..
ابدأي من أولِ القشطةِ والثلجِ معي..
ابدأي من زَغَبِ الإبطِ.. ومن فوضَى الأساورْ..
ابدأي من فوقَ – أو إن شئت –
من تحت الضفائرْ..
ومن العطرِ الهجوميِّ الذي يفتحُ لحمي.. ويسافرْ..
ابدأي منذ البداياتِ.. فإني
رغمَ تاريخي مع المرأةِ..
لا أدري الجوابا..

ويك إند

أعندَك ما تفعلين نهارَ الأحدْ؟

أعندَك وقتٌ؟

لكي نتناول شيئا من الحُبِّ..

شيئا من البحرِ..

شيئا من الرملِ..

شيئا من الكلماتِ الجميلةِ.. يومَ الأحدْ..

أعندَك وقتٌ؟..

لأدفنَ وجهي بشعرِكِ..

طيلةَ يومِ الأحدْ..

أعندك وقتٌ لتستقبليني؟

أعندك صبرٌ لكي تسمعيني

ووجهي خرابٌ..

ونفسي خرابٌ..

وبيروت رأسٌ بغيرِ جسدْ..

أيمكن أن تمنحيني يديْكِ؟
لأشعر أني ملكتُ الأبدْ
أعندك وقتٌ لحزني؟
فمن بعد مَقتلِ بيروتَ..
ما عاد عندي أَحَدْ..

إني لأبحث عن أنثى تحررني

كلُّ الدراساتِ عن شِعري مزورةٌ
كلُّ الرسومِ لوجهي، ليس تُشبهني
لا شهريارُ.. ولا عبدُ الحميد.. أنا
لو تعلمين كم التاريخُ يظلمني
فلا ذَبحت حبيباتي كما زعموا
أنا الذي كانتْ الأحزانُ تذبحني..
وشْمُ القبيلة محفورٌ على جسدي
ولعنةُ الجنسِ، ما زالت تطاردني
لا تحسبيني سعيدًا.. إن مملكتي
أكذوبةٌ.. وحريمي كاد يخُنُقني
ماذا سأفعلُ في خمسينَ جاريةٍ؟
وليس واحدةٌ منهن تَعْشَقني

❊ ❊ ❊

يا امرأةٌ.. تتمنى أن أحررَها
في حين أبحثُ عن أنثى تحررُني!!

تنويعات على وتر القبيلة

(١)

.. وكلما كتبتُ شعرًا فيكِ.. يا حبيبتي
تخرجُ عن صوابِها قبيلتي..

(٢)

.. وكلما أخرج نهدٌ رأسَهُ..
تشنجتْ قبيلتي..

(٣)

.. وكلما تقهقر الحنانُ.. يا حبيبتي..
تقهقرتْ قبيلتي..

(٤)

..وكلما رشقتُ ياسمينةً..
في شعرك الطويل.. يا أميرتي.
جُلِدتُ ألفَ جلدةٍ..
وأسقطوا جنسيتي..

في القائمة السوداء

لأنني مع النساءِ دائماً..
أُوضع في القائمةِ السوداءِ
يا لؤلؤتي..

***

الكتب العربية

يكفي كتابٌ واحدٌ..
أنشره في الحبِّ.. يا حبيبتي
لينصبوا مشنقتي..

حوار الأطفال

اختلف الأطفالُ.. حولَ نهداكِ الطالعِ.. يا صغيرتي
فقال طفلٌ: إنه عريشةٌ من العنبْ..
وقال طفلٌ آخرُ:
بل إنه إسوارةٌ من الذهبْ..
وقال طفلٌ ثالثٌ:
بل إنه مروحةٌ من الحريرِ والقصبْ..
حتى أتى كبيرُهم
وقال عن نهدِكِ.. يا فراشتي
بأنه كتابُ شِعر وأدبْ..

.. وما زال جسمُك في الأربعينْ
فتيًّا
شهيًّا
نقيًّا نقاءَ اللبنْ..
وما زالَ نهداكِ مثلَ حِصانَي سباقٍ
يطيرانِ ضدَّ مرورِ الزمنْ..

تعديل جديد على قانون قديم

إنْ تلاقي رجلٌ وامرأةٌ.. في حجرةٍ..
خرج الحرمانُ مهزومًا..
لكي تدخلَ أزهارُ الربيع..

ثورة الخيول

تدقُّ في نهديك.. يا سيدتي.. الطبولْ..
فمَن هو المسؤولُ عن سلامتي..
لو داهمتني فجأةً..
مواسمُ الأمطارِ والسيولْ
ومن هو المسؤولُ عن حمايتي
من ثورةِ الخيولْ

الوحش

ما زال حبُّك مركبًا خطرًا
يلقي على صدري مراسِيهِ
ما زال يؤذيني.. ويقذفُ بي
فوقَ الصخورِ.. فكيف أؤذيه؟
ما زال مثلَ الوحِش.. يمضغني
وأنا – كعادتي – أداريه
حاولت يومًا.. أن أقاومه فخرجتُ منه.. ولم أزلْ فيه..

البحث عن الزمن الضائع..

اطمئني..
اطمئني..
سوف لا أطلبُ من نهديْك قمحًا أو نبيذًا..
فأنا ما عاد لي حقُّ التمني..
لا ولن أطلبَ كأسا منك كي أوقد ذهن
لا ولا جئت لتكذيب
الإشاعاتِ التي تُنسج عني
إنني في هذه الغرفةِ حتى..
أستردَّ الزمنَ الضائعَ مني..

الدخول.. والخروج

حكمتني النساءُ خمسين عامًا..
غير أني أخافُ أن أَستقيلا..
فعيونٌ لها دخلتْ مليكا..
وعيونٌ خرجتُ منها قتيلا..

تداخلات

اخلُطُ بينَ ثغرِكِ الرقيقِ.. والنجمهْ
أخلُط بين جسمِك الرشيقِ.. والنسمهْ
أخلطُ بين نقطةٍ في آخرِ الكلام.. والحَلْمَهْ
فهل لديكِ.. يا سيدتي.. طريقةٌ؟
أعرفَ فيها الفرقَ بين التهدِ.. والكلمهْ؟.

المجذوب

ما الذي يمكنُ أن أفعلَه؟

وكتاباتي على دفترِ نهدِيْك.. نقوشٌ فوقَ ماءْ

ما الذي يمكنُ أن أفعلَه؟

إن يكن نهدُك مجذوبًا.. ومسلوبًا..

ومحدودَ الذكاءْ..

ليس بالإمكانِ إقناعُك بالحبِّ..

فإن الله يهدي من يشاءْ..

السمك

يا امرأةً.. تأتي من عصرٍ آخرْ..
ولها أفكارٌ تصلُح في عصرٍ آخرْ..
وتحبُّ رجالاً يُنسَبون إلى عصرٍ آخرْ..
وتخطُّ عناوينًا في الماءْ..
أنا قد أستعملُ في أشعاري الرمزَ..
وألجأُ للإيماءْ..
لكني لا أشْري أبدًا..
سمكًا في الماءْ..

حب في علبة البريد

يا امرأةً.. تبعثُ لي بحبِّها الكبير في البريدْ..
وصوتِها..
وكحلِها..
وعطرِها المثيرِ في البريدْ..
يا امرأةً.. أعرفُها جدًّا.. ولا أعرفُها..
توقفي.. توقفي.. عن حِرفةِ التأليفْ
فكلُّ ما أرسلتِهِ وَلْدَنَةٌ
وكل ما كتبتهِ سخيفْ
فليس ثَمَّ امرأةٌ..
تمارسُ الحبَّ مع الرجالِ بالبريدْ..
وتنجبُ الأطالَ بالبريدْ..

الانقلاب

كنتُ مغرورًا..
فلم أحسبْ لنهديْك الصغيرين.. حسابا
كنت مشغولا بتأسيسِ حريمي..
لم أكن أقرأْ تاريخًا..
ولا أسمعُ أخبارًا..
ولا أفتح للزوارِ بابًا
لم أفكرْ – قبل أن يسقطَ عرشي –
أن بالإمكانِ أن يصنعَ نهداك انقلابًا...

ماذا يقال

عيونُك في الليلِ.. تطرحُ ألفَ سؤالْ
ومن شفتيْك.. تسافرُ رائحةُ البرتقالْ
وبينَ اشتعالِ دمي..
واشتعالِ المعادنِ..
يوجد ألفٌ.. وألفُ احتمالْ..
فماذا أقولُ؟ وفي كلِّ ركنٍ بجسمِك..
تُتلَى طقوسٌ.. ويجري احتفالْ..
وكان لديَّ كلامٌ كثيرٌ..
وشعرٌ كثير..
ولكن بحضرةِ نهديْك.. ماذا يُقال؟

اختزال

سأختصرُ الآنَ.. كلَّ القضيهْ
أنا طيبَ القلبِ في الحبِّ جدًّا
وأنتِ..
- برأي جميعِ الشهودْ -
أهمُّ ممثلةٍ مسرحيهْ..

وحدة حال

خذيني بحلمِك.. أيتُها السيدهْ..
إذا كنتُ يومًا كريح الجنوبْ..
ويومًا كريحِ الشمالْ..
ولا تدهشي..
إن تسربْتُ بين جفونِك.. مثلَ الرمالْ
أنا مثلَ نهديْك.. أيتُها السيدهْ..
فلا أستقرُّ على أيِّ حالْ..
ولا أستغفرُّ علي أيِّ حالْ

٢٠٠٠ تحت الصفر

(١)

ما عدتُ أقدرُ أن أكونَ مهذبًا.. ومجاملاً
كنتُ القتيلَ.. وجاء دوري كي أكونَ القاتلا
فقدت علاقتُنا طرافتهَا.. وجِدَّة شَكْلِها..
وتحولت ضجرًا.. ويأسًا قاتلاً..
ما عاد شَعْرُك – مثلَ عادتِه –
يوزِّعُ حنطةً.. وسنابلا..
ما عاد صوتُك – مثلَ عادتِه –
يقدم للصغارِ بلابلَا..
سيكونُ هذا الليلُ حدًّا فاصلا..
ما بينَنا..
سيكون حدًّا فاصِلاَ..

(٢)

وصلت علاقتُنا إلى الرمقِ الأخيرْ
وصلت إلى المئتين تحتَ الصِّفْرِ..
آه ما أشدَّ الزمهريرْ..
البردَ يدخلُ في الكلامْ..
أما لهذا الليلِ آخرْ؟
البردُ يدخلُ في القصيدةِ.. في المنافضِ.. في السجائرْ..
وأنا تعبتُ من الظهورِ المسرحيِّ..
أمامَ مجتمعِ المعاطفِ.. والجواهرْ..
وتعبتُ من دوري الصغيرِ..
تعبت من وجهي الملطخِ بالصباغِ..
تعبتُ من حملِ المباخرْ..

(٣)

وصلت علاقتُنا لمفترقٍ خطيرْ
وصلت إلى الألفين تحتَ الصفرِ..
إن البردَ كالسكينِ.. يخترقُ الشراشِفْ
البردُ يخترقُ العواطفْ
لم يبقَ في عينيْك لا ماءٌ.. ولا شجرٌ..
ولا زرعٌ.. ولا ضرعٌ.. ولا شِعْرٌ.. ولا نَثْرٌ..
ولا فرحٌ قليلٌ أو كثيرْ..

(٤)

طلع الصباحُ..
وأنتِ جالسةٌ على طرفِ السريرْ..
وأنا أفتشُ تحتَ سطحِ الثلجِ عن حبي الكبيرْ
طلع الصباحُ.. ولم أجِدْ..
حبي الكبيرَ ولا الصغيرْ..

***

